قبل أن تحج تعلّم كيف تحج

2026-05-01

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي اسْتَدْعَى مَنْ شَاءَ إِلَى زِيَارَةِ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ، وَحَرَّكَ عَزْمَ الْقَاصِدِين وَأَعَانَهُم بِالتَّوْفِيقِ، فَأَقْبَلُوا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ سَحِيقٍ، ما بَيْنَ مَاشٍ عَلَى قَدَمَيْهِ، {وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَاتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}، فسبحانه من إله شرع لعباده الشرائع، وبيّن لهم المناسك، وجعل العلم نورًا يهدي به من يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقّه في الدين مَن أراد به خيرا. وأَوْلاه مثوبة وأجرا. وأعظَم له عنده محلاً وقدرا. وأجمل عليه الثناء. وجعله أهلا للإهتداء به والإقتداء. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. رغّب في العلم، وحضّ على التفقّه في الدين، فقال كما في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي. وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ))،

هذا الحبيبُ الهاشميُّ شفيعُنا * يوْمَ الحسابِ وموْقِفِ الخسرانِ
هذا المكرَّم والمعظَّم قدْرُه * هذا الدليل لجنّة الرِّضوان
هذا الذي ساد الورى وعليه قد * صلّى إله العرش في القرآن
صلّوا عليه وارفعوا أصواتَكم * تُعْطُوا الثوابَ وجَنَّةَ الرِّضْوانِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمّد. أفضلِ مَن حجّ البيت الحرام وَلاَذَ بمولاه خضوعًا له وانقيادًا، وعلى آله أطهر الورَى سِيَرًا وأعرقِهم أمجادًا، وصحابته أبرِّ الأمّة قلوبًا وأشدِّهم تآلفًا ووِدادًا، صلاةً نترسَّم ببركتها خُطاهم بصِدقٍ وإخلاص ونرجو بها فلاحًا ورشادًا، ومن التقوى والعمل الصالح زادا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من أعظم نعم الله على العبد أن يوفّقه لفهم دينه، وأن يبصّره بأحكام عبادته، فإنّ العبادة لا تُقبَل إلا بشرطيْن: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله، ﷺ. ونحن مقبلون على أبواب موسم عظيم من مواسم الطاعة،

موسمٍ تهفو إليه القلوب، وتشتاق إليه الأرواح، موسم الحج، الركن الخامس من أركان الإسلام، الذي قال فيه الله تعالى كما في سورة آل عمران: {وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} ، ولكن ليس كل من قصد الحج يُقبَل منه حَجّه، بل لابدّ أن يكون حَجّه موافقًا لهدي النبي ﷺ. وقد قال النبي ﷺ: ((خذوا عني مناسككم))، أيْ: لا تعبدوا الله إلا بعلم!، أيّها المسلمون. وهنا يظهر أمرٌ عظيم يغفل عنه كثير من الناس، وهو: وجوب التفقّه في أحكام الحج قبل الذهاب إليه. فالحج ليس رحلة، ولا عادة، ولا مجرَّد لباس أبيض، وزحام، وانتقال، لأنّ الحج عبادة عظيمة مركَّبة، فيها أركان وواجبات ومحظورات، لا يُعذَر المسلم بجهلها إذا كان قادرًا على التعلّم. ولأنّ كثيرًا من الأخطاء تقع من الحجاج بسبب الجهل، فتُفسد عليهم عبادتهم، أو تُنقص أجرهم. والله عز وجل أمر بالتفقّه في الدين، فقال في سورة التوبة: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِے ٱلدِّينِ} ، وقال سبحانه في سورة النحل: {فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ، أيّها المسلمون. كيف يقدم العبد على عبادة عظيمة كالحج، وهو لا يعرف كيف يؤدّيها؟!، لذا كان لزاماً على كل مُكلَّفٍ أن يتعلّمَ ما تصح به عبادتُه. يقول الشيخ سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله عنه في نظمه (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين):

وَيُوقِفُ الأُمُورَ حَتَّى يَعْلَمَا * مَا اللهُ فِيهِنَّ بِهِ قَدْ حَكَمَا

وقال سيدي عبد الرحمن الأخضري رحمه الله في (المختصر في العبادات): (وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلًا حَتَّى يَعْلَمَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَيَسْأَلَ الْعُلَمَاءَ، وَيَقْتَدِيَ بِالْمُتَّبِعِينَ لِسُنَّةِ سيّدنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقال الإمام أحمد رحمه الله: (الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب)، وقال بعض السلف: (مَن عَبَد الله بغير علم، كان ما يُفسد أكثر ممّا يُصلح)، أيّها المسلمون. من الخطأ العظيم، أن ترى مَن يجمع المال للحج سنوات، ثم لا يُكلِّف نفسه أن يتعلّم أحكامه!، يعرف تفاصيل السفر، ولا يعرف كيف يطوف!، يجهّز الحقائب، ولا يجهّز العلم!، وهذا خلل في الفهم، فإنّ مَن أراد الحج، وجب عليه أن يتعلّم ما تصحّ به عبادته، ومن ذلك: معرفة أركان

الحج: الإحرام، الوقوف بعرفة، طواف الإفاضة، السعي، معرفة الواجبات: المبيت بمزدلفة، رمي الجمار، الحلق أو التقصير، معرفة المحظورات: كالتطيّب، ولبْس المخيط للرجال، وقص الشعر، وهنا قاعدة أصيلة، بوّبها الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه، تؤكِّد أنّ المعرفة الدقيقة بالأحكام الشرعية، تَسبق صحة الأقوال والأفعال، وتَمنع الوقوع في الجهل والضلال. فقال: (بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)، فالعلم مصحِّح للنية، وبدونه تكون العبادة عُرضة للفساد والاختلال، مستدلاً بقوله تعالى في سورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم: {فَاعْلَمَ اَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اُ۬للَّهُۥ}، فبدأ بالعلم قبل العمل. أيها المسلمون: الحج ليس رحلة سياحية، ولا عادة اجتماعية، بل هو عبادة عظيمة، فيها تذلّل وخضوع لله، فلابدّ أن تُؤدّى على بصيرة. قال رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها: ((مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ))، أيْ: مردود عليه!، فاحذروا أن تضيّعوا أعمالكم بسبب الجهل. فإنّ من أعظم الخسارة: أن تبذل المال، وتتحمّل المشقّة، وتسافر آلاف الكيلومترات، ثم تضيّع الأجر والقَبول، بسبب الجهل! واعلموا رحمكم الله، أنّ من أعظم أسباب قَبول العمل: أن يكون على عِلم وبصيرة. أيها الحجاج المقبلون على حج بيت الله الحرام، اتقوا الله في حَجّكم، وتعلّموا أحكامه قبل أن تصلوا إلى المشاعر، أحرصوا على حضور الدروس، إسألوا العلماء، إقرأوا الكتب الموثُوقة، لا تعتمدوا على العادات، أو ما يفعله الناس، فكم من إنسان أفسد حجه، أو نقص أجره، بسبب التقليد الأعمى! أيها المسلمون. من رحمة الله أن جعل العلم متيسِّرًا: دروس في المساجد، كُتُب مبسَّطة، تسجيلات صوتية، علماء يُسألون، فما عذرك؟!، فلا عُذر لأحد اليوم في الجهل. واسمعوا هذه الكلمة القوية من على هذا المنبر: العلم في الحج ليس نافلة، بل هو فريضة! لأنّ ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب. فتعلُّمُ أحكام الحج واجب على مَن أراد الحج، ومَن أراد الحج ولم يتعلّم، فقد عرّض حجه للخطر!، فلا تقدِموا على الحج حتى تتعلّموا: كيف تحرم؟ ماذا تقول؟ ماذا تفعل في عرفة؟ كيف تطوف وتسعى؟ ما الذي يَحْرُمُ عليك فِعله؟ تعلّم قبل أن تسافر، قبل أن تلبس الإحرام، قبل أن تقف بعرفة! أيها المسلمون. فاتقوا الله عباد الله، وأوصيكم

بالإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله، ﷺ، وكثرة الذكر والدعاء، فإنّ الحج عبادة العمر. وتذكَّر دائما أخي الحاج، أنّك تمثّل بلادك ووطنك وأهلك. فكن خير سفير لهم، بالمحافظة على النظام والأخلاق الحسنة. تسلَّح دوْما بالحِلم والصبر. فإنّ وضعية الموسم وكثرة الحجّاج يُفرض عليك أن تتعامل بالحِلم والصبر. لا تزاحم ولا تندفع، ولا تدفع ولا تسبّ، ولا تجادل أحدا. فإنّ ذلك يُنقص من حجك. وحاول أن تقدِّم المساعدة ما استطعتَ لكل مَن احتاج إليها من الضعفاء والمرضى والتائهين. بغضّ النظر عن جنسيّاتهم، قال صلى الله عليه وسلم: ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))، ومن باب أوْلى وأحرى إذا كان أحدهم ضِمن رُفقتك. {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، اللهم اجعلنا ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا. اللهم فقّهنا في الدين، وعلّمنا ما ينفعنا في الدنيا والآخرة، واجعلنا من عبادك الفائزين، اللهم وفّق حجّاج بيتك الحرام لأداء نسكهم على الوجه الذي يرضيك. اللهم تقبّل منهم حجّهم، واغفر ذنبهم، ويسّر أمرهم. وردّهم إلى أهلهم سالمين غانمين، اللهم انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا. اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واغفر لنا ولوالدينا، ولمشائخنا ومعلّمينا، ولذوي الحقوق علينا، ولجميع المسلمين والمسلمات، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ